تحفيز الإرادة الإنسانيـــة في ضوء القرآن الكريم

د. مُحمّـد أبوالقاسم الحضيري ـ كلية القانون والشريعة نالوت جامعة نالوت

Research titled:

Motivating human will in the light of the Holy Quran

Abstract:-

This topic is one of the significant topics in the life of our Islamic nation in its past, present and future. Its significance lies in the fact that it represents the relationship between the will of man and the will of the Almighty Allah. it also explains to man, his responsibilities towards Allah countless blessings. The most important of which is that Allah grants him the freedom of selection and will, and this does not contradict with the truth that says everything goes according to the will of Allah, although this freedom is not absolute, but rather it is a measure. In the first part, I discussed the definition of will linguistically and terminologically, and I used Ibn Manzur dictionary, as he largely discussed the meaning of the will in his dictionary, Lisan al-Arab. As for its terminological meaning, I explained the discrepancy in the definition of human will and attributed it to reasons. In the second part, I examined the types of will in the Holy Quran, including the divine will.

I tried to cite several Quranic verses that call for supplying from this world for afterlife. Afterwards, I highlighted the human will in love of life, its adornments and enjoyments. I tried to delve into the topic more because of its close relationship with the bliss of the afterlife. In the second part, I shed light on the will of the afterlife and its bliss. I proved that the afterlife is the end of man's endeavor in this life. I discussed the characteristics of believers who believe in the unseen, and that man was created in this life so that Allah distinguishes the evil from the good, and that belief in the afterlife is one of the pillars of faith. In the third part, I discussed the areas of human will, starting with promotion of virtue and prevention of vice, which is one of the characteristics of a believer that he must possess in his life, and collaboration for doing goodness, righteousness, and benevolence. Quranic verses and Prophetic hadiths played a prominent role in achieving the goal of this topic.

الملخّـــــــــص:

هذا الموضوع من المواضيع المهمة في حياة أمتنا الإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وتكمن أهميتها في كونها تمثل العلاقة بين إرادة الإنسان ثم

إرادة الله - عز وجل- ، ويوضح للإنسان ما يترتب عليه من مسؤوليات اتجاه نعم الله التي لا تحصى ولا تُعد، ومن أهمها أن منحه الله عز وجل حرية الاختبار والإرادة، وهذا لا تناقض بينه وبين الحقيقة التي تقول كل شيء يسير وفق إرادة الله – تعالى- ومشيته على أن تلك الحرية ليست مطلقة بل هي يقدر ولقد تناولت في المبحث الأول تعريف الإرادة لغة واصطلاحاً، وحاولت الاستعانة بابن منظور فهو أكثر من تناول معنى الإرادة في معجمه لسان العرب. أما في الاصطلاح فقد بينت التباين في تعريف الإرادة الإنسانية وأرجعته إلى أسباب، وفي المبحث الثاني تعرضت لأنواع الإرادة في القرآن الكريم ومن بينها الإرادة الإلهية حاولت الاستدلال بعديد الآيات القرآنية التي تدعو إلى التزود من الدنيا لزاد الآخرة، ثم كانت لي وقفة في الإرادة الإنسانية في حب الدنيا وزينيتها ومتاعها، حاولت التعمق في الموضوع أكثر لعلاقته الوطيدة بنعيم الآخرة وفي المبحث الثاني كانت لي وقفات مع إرادة الأخرة ونعيمها ووضحتُ بالأدلة أن الآخرة هي نهاية سعى الإنسان في الدنيا. تطرقت لصفات المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب، وأن خلق الإنسان في الدنيا ليميز الله الخبيث من الطيب، وأن الإيمان بالآخرة ركن من أركان العقيدة وفي المبحث الثالث تطرقت لمجالات الإرادة الإنسانية، بداية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي من صفات المؤمن التي يجب أن يتحلى بها في عمره، والتعاون في وجوه الخير والبر والإحسان، كان للآيات القرآنية والأحاديث النبوية دورًا بارزًا في الوصول إلى غاية هذا المبحث.

الكلمات المفتاحية: نعم الله - لا تحصى ولا تُعد - لغة واصطلاحاً – الأحاديث

توطئـــــــــــة:

الحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له، نحمده حمد الشاكرين، وهو وبكل لسان محمود، ونشكره شكر الحامدين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ عبدالله ورسوله، صاحب الحوض المورود، وعلى آله وصحبه الركع السجود.

تحفيز الإرادة الإنسانية من المواضيع المهمة التي تبين العلاقة بين إرادة الإنسان ثم إرادة الله ﷻ، فهي وحدها من يحدد سعادة أو شقاء الإنسان في دنياه وأخراه. لقد أنعم الله ﷻ على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى. قال - عز من قائل- : ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1]

ومن بين تلك النعم التي تفضل الله - تبارك وتعالى - بها على عباده، أن منحهم الحرية والاختيار والإرادة، وهذا لا يتعارض إطلاقاً مع حقيقة أن كل شيء يسير بإرادة الله ومشيئته. وهذا الاختيار للإنسان غير مطلق بل هو في حدود، لأن الالتزام به إجبارياً. ويترتب عن هذا أنه لا يحاسب ولا يسأل عما يحدث فلله في خلقه شؤون. أما الإرادة المتمثلة في أوامر الله ﷻ ونواهيه، فهي مناط التكليف والحساب والجزاء، وهذا معناه أن الإنسان مخير بين الفعل والترك، ولكنه يحاسب عن أعماله وفق الناموس الإلهي أيجاباً أو سلباً. والسبب في ذلك أن الأمر يتعلق بالأوامر والنواهي من الناحية الشرعية. والإنسان بطبعه ميال لمعرفة نتيجة أقواله وأفعاله، وهل إرادته هي من يوجه أفعاله؟، وإن كان كذلك فما هي حدودها؟ وما علاقتها بإرادة الخالق؟ هذه الأسئلة وغيرها كثير مازالت تحتاج إلى مزيد من البحث والاطلاع خاصة بين المذاهب والفرق المنتمين إلى مذهب فلسفي واحد. وهذا بالطبع شأن كل القضايا الفكرية خاصة المتعلقة بتلك العلاقة بين الإنسان، وبين ما يصدر عنه من سلوك أخلاقي تحديداً. إن هذه القضية شغلت العقل الإنساني وهكذا كل قضية تتعلق بحركة الإنسان في هذا الكون، فيكثر الجدل حولها. خاصة إذا كان الصراع فيها بين الخير والشر، والعدل والظلم، والصلاح والفساد. هذه المرتكزات هي التي ترتكز عليها حياة الناس في الوقت الحاضر وفي المنظور البعيد. ونختصر القول فنقول : إن إرادة الإنسان قد تتأثر بعدة عوامل، قد يكون لها الدور البارز في انحراف أو صلاح أو تأرجح بين الأمرين، ولهذا حذرنا الله ﷻ **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[2].

ومعنى الصراط: الطريق، فالطريق إلى الله لابد أن يكون مستقيماً لا عوج فيه، والاستقامة هي أقصر طريق موصل إلى الحق، وهي الطريق المثلى.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

1. بيان أن القرآن الكريم يحفز الإرادة الإنسانية ويوجهها نحو طريق الحق.
2. بيان فضل القرآن الكريم في توجيه أتباعه لما فيه خيري الدنيا والآخرة.
3. سرد الأسباب والعوامل التي قد تؤثر في إرادة الإنسان وسلوكه.

4. القرآن الكريم أعطى حرية الاختيار للإنسان.

منهجية البحث:

سأتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي القائم على التحليل والاستنباط والاستدلال بالقرآن والسنة، وآراء بعض العلماء.

أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أسباب اختياري لهذا الموضوع في الآتي:

1- كونه من المواضيع التي لم يتناولها أغلب العلماء. لذا حاولت الخوض في بحرها اللجي.

2- إظهار بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن تحفيز الإرادة الإنسانية.

3- محاولة الربط بين هذا الموضوع والواقع المعاصر.

أهداف البحث:

1- بيان أن إرادة الإنسان قد تضعف أمام مغريات ومفاتن العصر.

2- الاستدلال بالدليل والبرهان على أن من كان القرآن حاضراً لإرادته سلمت نفسه من الأهواء والنوازل والنوازغ.

3- بيان أن إرادة الإنسان مخيرة فيما تملك، وغير مخيرة فيما لا تملك.

4- فتح المجال أمام الباحثين للخوض في موضوع فيه خيري الدنيا والآخرة.

هيكلية البحث:

قسمت هذا البحث إلى عدد من المباحث وقد حوى كل مبحث عددًا من المطالب:

المبحث الأول: تعريف الإرادة لغة واصطلاحاً مع ذكر مشتقاتها في القرآن: المطلب الأول: تعريق الإرادة لغة واصطلاحاً. والمطلب الثاني: مشتقات الإرادة في القرآن الكريم، وفي المبحث الثاني: أنواع الإرادة في القرآن الكريم: المطلب الأول: الإرادة الإلهية والمطلب الثاني: الإرادة الإنسانية في حب الدنيا وزينتها، والمطلب الثالث: إرادة السعي للآخرة ونعيمها، والمبحث الثالث: الإرادة الإنسانية ومجالاتها: المطلب الأول: إرادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. المطلب الثاني: إرادة الشكر والثناء على نعم الله.

المبحث الأول ـ تعريف الإرادة لغة واصطلاحاً مع ذكر مشتقاتها في القرآن

المطلب الأول ـ تعريف الإرادة لغة واصطلاحاً:

أولاً في اللغة: الإرادة صفة أزلية قائمة بذاته العلية لا يشاركه ولا ينازعه بها أحد - سبحانه وتعالى - وبداية نستعرض معانيها في اللغة والاصطلاح.

ذُكر لفظ الإرادة في العديد من كتب اللغة وقواميسها وجاء بصيغ متعددة فالإرادة أصل الفعل منها "راد" ومعناه لغويًا إذا جاء وذهب[3] ولم يطمئن، وهناك من علماء اللغة من يرى أن الإدراك بمعنى المشيئة، فأصل الألف فيها الواو[4]، لقولك راودة: كما جاء في قوله جلا وعلا في سورة يوسف: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[5]، وتتعدد المعاني اللغوية للفظ الإرادة فمثلاً يراد بها المشيئة، ويراد بها المحبة. فقد جاء في المعجم الوسيط (وأراد الشيء وبمعنى شاءه وبمعنى أحبه وعنى به)[6]، ومن التعاريف اللغوية للفظ الإرادة - أيضاً - ما جاء في لسان العرب (الإرادة تكون محبة وغير محبة)[7]، وفي الواقع أن ابن منظور أكثر من تناول الإرادة في معجمه لسان العرب فها هو يذكر معنى الإرادة بمعنى آخر وهو الطلب فيقول: (وراد الكلأ يروده رودًا، وريادًا ارتيادًا[8]، أي : طلبه)، ومن معاني لفظ الإرادة -أيضاً - القصد يقول ابن منظور: (إرادتي بهذا لك أي قصدي بهذا لك)[9]، ومنه قوله - تعالى - في سورة القصص : ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[10]، وقد يأتي لفظ الإرادة بمعنى الأمر جاء في مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: " كقولك أريد فيك كذا أي أمرك بكذا"[11]، قال – تعالى- : ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[12]، وأما في معنى قوله – تعالى- في سورة الكهف: ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارَاً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾[13]، فيقول وهبه الزحيلي في تفسيره التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: (ليست الإرادة حقيقية، وإنما هي إرادة مجازية، لأن الإرادة من صفات العقلاء، واسنادها إلى الدار استعارة ومجاز)[14]، والرأي عندي أنه أصاب في قوله : فالجـــدار ليس بعاقل حتى يطلق عليه لفظ الإرادة.

تعريف الإرادة في الاصطلاح:

تباينت آراء العلماء في تعريف الإرادة الإنسانية، ولعل ذلك الاختلاف يرجع إلى فهم وثقافة كل واحد منهم لهذه الإرادة، فرأى علماء الإسلام يختلف عن رأى من سبقهم في العصور الغابرة، فالنظرة الدينية للإدارة تختلف كثيرًا عن النظرة الفكرية والفلسفية، وهكذا يقاس على ذلك، وسنتعرض لبعض من تلك الآراء، ومن العلماء من قال: (صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه)[15]، ومنهم من عرفه بقوله: (ماهية يجدها العاقل في نفسه، ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته وألمه ولذته)[16]. وهناك من الفرق الإسلامية من عرفها بأنها: "صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع"[17]، ولم يغفل الصوفية هذا الجانب فجاء تعريفهم للإرادة الإنسانية بقولهم: (ترك العادة وهي بدءً طريق السالكين، وأول منازل القاصدين)[18].

وهكذا نلاحظ الاختلاف والتباين واضحاً في تعريف معنى الإرادة مع العلم أن ذلك التباين لا يمس جوهر المعنى اللغوي للإرادة وإن اختلف التعبير.

المطلب الثاني ـ مشتقات الإرادة الإنسانية في القرآن الكريم:

من خلال البحث والاطلاع في القرآن الكريم يمكنني القول: أن ورود لفظ الإرادة الإنسانية (راد) قد جاء بصيغتي الفعل الماضي، والفعل المضارع في نحو أربع وعشرين صيغة، تقريبًا، وسنكتفي بذكر البعض منها وتعميمًا للفائدة سنذكر الفعل والآية القرآنية التي ذكر فيها، دون التعرض للآيات المتكررة، مع ملاحظة ترتيب السور في المصحف.

الفعل أراد وهو بصيغة الإفراد، فقد جاء ذكره في قوله – تعالى- : ﴿**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً**﴾[19]، أما بصيغة المثنى فقد جاء ذكر الفعل في قوله عز وجل: ﴿**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[20]، وقد يأتي الفعل الماضي المتصل بضمير المتكلم كما هو الحال في الفعل أراد في مثل قوله - تعالى - : ﴿**أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾[21]، وقد يأتـي الفعل بصيغة الجمع أرادوا وهو فعل ماضي مبني على الضم لاتصاله بضمير واو الجماعة ، مثلما ذكر في قول الله - عز

وجل- : ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ**﴾[22]، وذكر الفعل أردت وهو فعل ماضي متصل بتاء المتكلم في قوله – تعالى - : ﴿**نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ**﴾[23]، ومن الأفعال أيضاً أرتم وهو فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بتاء المخاطبين فقد جاء ذكره في قوله - تعالى- : ﴿**وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً**﴾[24]، أما الفعل أردن وهو فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة فقد ورد ذكره في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[25]، أما الفعل أرادا وهو فعل ماضي مسند ألف الأثنين فقد جاء ذكره في نص الآية: ﴿**إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً**﴾[26]، أما أردناه: فهو فعل ماضي أيضاً مبنى على السكون لاتصاله بتاء المتكلمين جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[27]، وجاء ذكر الفعل أريد وهو فعل ماضي مبني للمجهول في قوله – تعالى- : ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**﴾[28]، أما بصيغة الفعل المضارع فذكر منها: تردن وهو مبدوء بتاء المضارعة فقد ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿**إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً**﴾[29]، والفعل تريد هو من الأفعال المضارعة المبدوء بتاء المضارعة فقد ورد ذكره في قول الله - تعالى- : ﴿**إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ**﴾[30]، والفعل تريدون فعل مضارع متصل بواو الجماعة ورد ذكره في قول الله – تعالى- : ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[31]، وهذا فعل مضارع مبدوء بتاء المضارعة الدالة على جماعة المتكلمين تريد ورد ذكره في قول الله – تعالى- : ﴿**نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ**﴾[32]، ومن الأفعال المضارعة أيضاً الفعل يريد وهو فعل مجزم جاء ذكره في عديد الآيات ومن بينها ﴿**وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾[33]، ومن الأفعال - أيضاً - يوردك فقد جاء ذكره في قول الله - عز وجل- : ﴿**وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[34]، ومن الأفعال - أيضاً - يوردن فقد جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿**إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ**

شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ﴾[35]، ونختم هذا المبحث بالفعل يريد وهو فعل مضارع أيضاً ورد ذكره في قوله - تعالى- : ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ**﴾[36]، هذه بعض مشتقات المادة (راد)، حاولت الاختصار قدر الإمكان فالمقام لا يسمح بالإطناب.

المبحث الثاني ـ أنواع الإرادة في القرآن الكريم:

المطلب الأول: الإرادة الإلهية:

إن إرادة الله هي من أعظم ما يتمناه الإنسان المؤمن في هذه الحياة، فالدنيا وحطامها الفاني عند أهل الإيمان لا تساوى جناح بعوضه، فمن كان سعيه للآخرة أكبر وتزود من الدنيا بزاد الآخرة جمع الله بينه وبينهما قال- سبحانه وتعالى- : ﴿**فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾[37]، الآية موصولة بما قبلها فالمعنى أن نتيجة صبرهم وثباتهم فبإرادة الله نالوا جزاء الدنيا وثوابها بما تحقق لهم من نصر وغنيمة، وبسبب هذا أيضًا نالوا حسن ثواب الآخرة، أي نالوا النعيم المقيم، وفوق ذلك نالوا رضا الله عز وجل ومحبته وهي من أعلى درجات القبول، وفي تعبير بلاغي جميل وصف سبحانه وتعالى: ثواب الآخرة بالحُسن، لأنه لا تعب ولا مشقة فيه، أما ثواب الدنيا فلم يصفها سبحانه وتعالى بالحسن نتيجة لتعقيدات الحياة، وكثرة تقلباتها ومن تجليات الإرادة الإلهية أمر الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير أزواجه بين إرادة الله عز وجل وإرادة الدنيا ومتاعها فقال – تعالى- : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً**﴾[38]، ومعنى الآية الكريمة أن الله تعالى يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يخير نساءه بين أمرين:

الأمر الأول: أن يفارقهن فيذبهن إلى غيره فيعشن شطف العيش ويتمتعن بمتاع الحياة الدنيا وزنيتها.

الأمر الثانـــي: الرضا والقناعة والصبر على ما هن فيه من ضيق الحال، وهذا يؤدي بهن إلى جنات النعيم.

ولا شك في أن نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - وبحكم عيشهن وقربهن من حضرة النبوة، قد اخترن الله ورسوله ونعيم الآخرة، فكن حيث تقتضى مكانتهن أن

يكن. ومن إرادة الله عز وجل نهيه وبالنص الصريح لنبيه صلى الله عليه وسلم على عدم طرد الضعفاء المسلمين من مجلسه، وعدم الانصياع لطلب السادة والكبراء من علية القيوم، لأنهم يريدون الظهور أمام الوفود التي كانت تأتيهم من بلاد العرب بمظهر الرفعة والغناء، وهذه هي الفتنة التي أشار الله إليها بقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا**﴾[39]، وقد وصف الله تعالى أولئك الضعفاء بأنهم مخلصون في طاعة الله وعبادته فهم يدعون ربهم بالغداة والعشى (الصباح والمساء)، وقد عبر سبحانه عن عبادتهم بالدعاء الذي هو في حقيقته فخ العبادة.

ومن مظاهر عظم إرادة الله تعالى أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر أيضاً مع ضعفاء المسلمين، وعدم طردهم نزولاً عند رغبته من استهوى الشيطان قلوبهم. فقال - تعالى- : ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطا**﴾[40]، وهذا أمر آخر لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يسيطر على نفسه وبحبسها وأن ينظر إلى أولئك الذاكرين لله بالغداة والعشى نظرة إكبار فهم قوة الإيمان الحقيقي، ولا تنظر إلى من تزينوا بزينة الحياة الدنيا، فالآية في حقيقتها تحض على احترام وتقدير أولئك الضعفاء بل والاعتزاز بهم، كذلك فيها حدث للنبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يوجه نظره عنهم إلى الذين قالوا ما قاله أسلافهم لسيدنا نوح - عليه السّــلام- ﴿**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾[41]، وهنا نخلص إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لربما حدثته نفسه بمجارات سادة وكبراء القوم، ليس حبًا فيهم أو تفضيلاً لهم على غيرهم من الفقراء؛ ولكن قد يكون السبب راجع إلى الآتــي:

1- كان يرى عليه الصلاة والسلام أن التلطف معهم قد يدخلهم في دين الله.

2- قد يكون مقصده وغايته هو اتقاء شرهم بسبب معاندتهم لدين الله.

3- كان الفقراء والضعفاء أحب إلى نفسه من غيرهم فهو ليس من الأغنياء ليكره الفقراء.

المطلب الثاني ـ الإرادة الإنسانية في حب الدنيا وزينتها:

تتأثر الإرادة الإنسانية تأثرًا بالغًا بمؤثرات لها الدور الأكبر في انحرافها عن الطريق المستقيم، فتسير في طريق غير الذي رسمه الله تعالى لها، افتقدت أدميتها بوقوعها في حب الدنيا وزخارفها، وترك الآخرة ونعيمها، وهذا ما حذرنا منه رب العزة والجلال في عديد السور والآيات وسنتعرض لبعض منها:

قال – تعالى - : ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[42]، ومعنى الآية هو أمر الله لنبيه عليه الصلاة والسلام بأن يتلو عليهم، وبين لهم أن هذا صراطي مستقيماً لا عوج فيه، والصراط هنا بمعنى الطريق، ولاشك أن طريق الله مستقيماً، ولكن جوانبه محاطه بنزغات الشيطان ليضل بها العباد عن ذلك الطريق السوى، ولقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا بيده، ثم قال صلى الله عليه وسلم "هذا سبيل مستقيم"، وخط عن يمينه، وعن شماله ثم قال: "هذه السيل ليس منها سبيل إلا على راسه شيطان يدعو إليه"[43]، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ إن من يهتم بأمر دنياه دون أن يحسب للآخرة حسابها، لاشك أنه في غفلة من أمره. إن معرفة الإنسان لحقيقة الدنيا ومالها هي التي تهيأ له إدراك حقيقته وحقيقة الدنيا وأن وجوده بها هو بمثابة الضيف الراحل، فهي ليست بدار القرار، وأن الجميع مرتحل إلى الآخرة، فالمسلم الحق هو من يعمل في الدنيا من أجل الآخرة، فالحياة دون هدف يرسم لها، هي في الحقيقة أشبه ما يكون بحياة الحيوان، والمؤمن الكيس هو من يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا، ومن سن الله في ملكوته أنه قرن أوامره بالوعد والثواب، وقرن النهي بالوعيد والعقاب، فالله في كتابه العزيز يلفت انتباه الناس للآخرة ونعيمها، وقد يقرن عز وجل ثواب الدنيا بالآخرة مع الفارق في المحصول فيقول - سبحانه وتعالى - : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾[44]، ويتحدث القرآن الكريم عن صنفين من الناس، صنف فضل الدنيا ومتاعها وصف فضل الآخرة ونعيمها فيقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي

الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾[45]، هذا هو الفريق الثاني، لا يطلب الدنيا ومتاعها بل طلبه منصب في ثلاثة أمور:

الأول: حسنة في الدنيا، أي الحياة الكريمة، لا ذل ولا ضيم فيها، معا في دينه آمن في سربه، بمعنى أمن مستقر، مطمئن لا يعكر صفو حياته بشيء.

الثاني: حسنة في الآخرة، بأن يكون من الذين حازوا رضا الله، ووفقهم الله لطاعته في الدنيا بأن باعد بينهم وبين الحرام والسيئات، وبالتالي فازوا بالآخرة لأن حال الآخرة مبنى على حال الدنيا.

الثالث: يطلبون من ربهم أن يقيهم عذاب النار، وهي مطلب كل مؤمن خاشع قريب من ربه لأن عذابها كان غراماً.

وقيل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم كان يكثر من هذا الدعاء (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[46].

ولم يذكر سبحانه وتعالى القسم الثالث وهو الذي يطلب الآخرة دون غيرها، ولا يطلب الدنيا، ولعل السر في ذلك حث المسلم على ألا ينسى نصيبه من الدنيا، ولأن التقوى والطاعات وخوف الله هي الطريق إلى الآخرة، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد وجيلاً من المسلمين صار مثل الفرح، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تدعو الله بشيء أو تسأله إياه" قال: نعم أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول - صلى الله عليه وسلم- : "سبحان الله!! إلا تطيقه، أفلا قلت، ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"[47]، والآية في عمومها ندعو المؤمن للسعى الحلال ليجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فمن أراد الدنيا أعطاه الله إياها وماله في الآخرة من نصيب، ومن أراد الآخرة أعطاه الله إياها وفاز بالفوز المبين كما قال - جل في علاه- : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾[48].

ويفصل الله - سبحانه وتعالى - القول في الموضوع أكثر بقوله – تعالى - : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا**

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[49]، كان هنا تدل على الرغبة الجامعة، والإرادة الدائمة ما دام الإنسان حيًا، ومعنى العاجلة ، أي : الدنيا ونعيمها، التي جعلها هدفه وغايته، أي لم يكن له هدف سواها، وصاحب هذه الإرادة أقصى غاياته ومراده تحقيق المنافع العاجلة، وهو يعلم علم اليقين أنها زائلة فجاء جواب الشرط موافقاً (لهواه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)، وذلك من الحكمة البالغة، فهو يعطى بحكمه، ويمنع بحكمه، وكل ذلك وفقًا لمشيئته وإرادته واختياره - سبحانه وتعالى- : ونختم هذا المطلب بأمر الله لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم - بأن يعرض ولا يهتم بالذين أعرضوا وتولوا عن ذكر ربهم، فأحبوا الدنيا وتركوا الآخرة فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ العِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾**[50].

المطلب الثالث ـ إرادة السعي للآخرة ونعيمها في الآيات المكية والمدنية:

ومما عنى به القرآن الكريم في الملكية والمدنية: الإيمان باليوم الآخر وما فيه من خير. إرادة الله وحكمته ومشيئته هي من اقتضت ألا تكون هذه الحياة الدنيا وحدها، بل لابد من حياة أخرى دائمة للذين قال الله فيهم ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾**[51]، ونلاحظ أن أول وصف للمؤمنين هو الإيمان بالغيب، وقد ختت سبحانه وتعالى أوصاف المؤمنين بقوله: ﴿**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ وهذا معناه وجوب الإيمان بالآخرة وأنها هي دار القرار، وأكده سبحانه وتعالى بتقديم الجار والمجرور بقوله تعالى: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أما الذين لا يؤمنون بالآخرة فقد وصفهم الله عز وجل بالخاسرين: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[52]، وهنا عبر الله عز وجل بقدر والمعنى تحقق خسرانهم بقدر رضا الله عنهم، وخسروا الآخرة لكثرة أوزارهم، وعبر سبحانه وتعالى عن كثرة أوزارهم بقوله تعالى بثقل (عَلَى ظُهُورِهِمْ) ولم يقل بأيديهم، ومن المعروف أن ما يحمله ظهر الإنسان أكثر بكثير ما يحمله بيديه ويذكر الله جلا وعلا عباده المؤمنين بأن خلقهم في الحياة

الدنيا لم يكن عبثا بل ليميز الله الخبيث من الطيب فقال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**﴾[53]، هذا فيما يخص الإيمان بالبعث والحساب، أما الطريق إلى الآخرة والسعي نحو جنات النعيم فهذا يتطلب من المؤمن حقاً التزود بالبر والتقوى والعمل الصالح، ومراقبة الله في كل أقواله وأفعاله، وبذلك يكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[54]، ولاشك أن الإيمان باليوم الآخر هو ركن مهم من أركان العقيدة فمن أنكره وجب قتاله، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[55]، إن من طرق السعي للآخرة الالتزام بما أمر الله به من العبادات والطاعات فالمحافظة على الصلوات المفروضة وأداء الزكاة والبر والعدل والإحسان، ومد يد العون للمحتاجين وبالمجمل العمل بأوامر الله واجتناب نواهيه وبذلك يكون الطريق للفوز بالآخرة ونعيمها سهل المنال، ولذلك نجد القرآن يرغب اتباعه في فعل الخيرات قال - تعالى- : ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً**﴾[56]، وهذا معناه أن الله ترك لعباده باب التوبة والرجوع والسعي للآخرة مفتوحاً، وفي موضع آخر يحبب الله عباده للعمل الصالح فيقول- سبحانه - ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[57]، وفي مقام آخر بشر الله سبحانه وتعالى طائفة من عباده اتصفوا بصفات أهل الإيمان وكاهن سعيهم للآخرة من خلال صفاتهم التي هي أصل أعمالهم فقال تعالى: ﴿**التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ**﴾[58]، ويأمر سبحانه وتعالى عباده بالمسابقة وهي نوع من السعي للفوز بالجنة فيقول- سبحانه- ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾[59]، أما الذين يشككون في الآخرة فتذكرهم بقول الله- تعالى- : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾[60]، وقوله تعالى: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾[61]، وهنا بيان

لعدل الله وحكمته حتى لا يستوى المحسن والمسيء، ونختم هذا المطلب بقولنا: إن السعي للآخرة أمر واجب على كل من يؤمن بالله ورسوله ويرجو نعيم الآخرة، ولكنه طريق محقوق بالمغريات وأهواء الشياطين، فمن أراد الوصول إلى تلك الغاية التي يرجوها كل مؤمن فعليه العمل بما يأتي:

1- الإيمان الكامل بالله ورسوله.
2- الالتزام بالأوامر والبعد عن النواهي.
3- التقرب إلى الله في السر والعلن.
4- كبح جماح النفس عن شهواتها وأهوائها.
5- التيقن بأن الإنسان محاسب على صغيرة وكبيرة في حياته.
6- إن الجزاء من جنس العمل.

المبحث الثالث ـ الإرادة الإنسانية ومجالاتها:

المطلب الأول ـ إرادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الإنسان أفضل مخلوق كرمه الله تعالى وفضله على سائر مخلوقاته، وأودعه عقلاً به يدرك الأمور وحقائقها، فيه نزعة للخير وفيه نزعة للشر، فمن أراد الله به خيرًا هداه إلى محاسن الأخلاق من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والبعد عن الظلم وإقامة العدل والبر بوجوهه المختلفة، ومن أراد الله به شرًا اتبع هواه وسقط في مهاوى الفساد والضلالة. إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صفة مغروسة في نفوس الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولهذا نجدهم يتسابقون في ميادين الأمر بالمعروف، والمعروف هو كل أمر تعارفته العقول المؤمنة، ولا اختلاف للأفهام فيه، وهذا لا يختلف مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، أما المنكر فهو عكس المعروف وهو ما اجتمعت العقول البشرية على بغضه وإنكاره وهذا ما يجعل الفطرة الإنسانية في تناقض معه، إن العقول السليمة ومنذُ نشأة الخليفة استحسنت أمورًا وأنكرت أخرى، فلم تختلف العقول في مدح صفات تحترم الإنسان وأدميته مثل الأمانة والعدل والصدق والإخلاص والعفة والطهارة.

وفي الجانب الآخر استنكرت العقول تلك الصفات الذميمة التي تنفر الفطرة السليمة منها مثل: الغدر والخيانة والظلم والكذب وارتكاب الرذيلة والغش والاعتداء...، ولهذا

قال سبحانه وتعالى داعياً عباده إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾[62]، والمعنى أن الواجب الشرعي يحتم على الأمة كلها الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل حسب ثقافته وعلمه وطاقته، إن الأمة مطالبه ببيان الأوامر والنواهي والزواجر المانعة من استفحال الشر. ومن أمور الأمور بالمعروف: أن تصلح بين المتخاصمين، وأن تدعو الناس للصفح والتسامح في غير حدود الله، وحث غير المصلين على الصلاة، وغير المزكين على الزكاة، والابتعاد عن الريا وأكل أموال الناس بالباطل، واحترام الآخرين وتقدير المرأة، واجلال العلماء والبعد عن المظالم بجميع أنواعها، والآية الكريمة تحض على أمرين: الأمر الأول الدعوة إلى الخير وهو كل أمر فيه تقع ومنفعة في الدنيا أو الآخرة، وأما الأمر الثاني فهو النهي عن المنكر ومعناه توجيه النفوس المؤمنة إلى ترك كل ما لا يتمشى مع الشريعة الإسلامية.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو لطريق المؤدى للفلاح في الدنيا والآخرة وبهذا ختم الله الآية الكريمة بقوله ﴿**وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ وفي النص تقي وإثبات، فهو يؤكد أن الفلاح لهم، وفي نفس الوقت ينفي الفلاح عن غيرهم، وهذا من بلاغة القرآن، وقد جاء في السنة المطهرة قوله- صلى الله عليه وسلم- : "من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله"[63].

وهذا يعني أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعلى المراتب في شريعة المسلمين، وأن تركه وعدم الاهتمام به يكون سبباً من أسبا تخلف الأمة وتدبرها، وضياعها كما حدت للمسلمين في الماضي البعيد والغريب، ومثلما حدث لنبي إسرائيل في ماضيهم، وهنا يقول صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن الرجل كان يلقى، فيقول: يا هذا أتق الله، ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثلم يلقاه من العز فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض)، يقول صلى الله عليه وسلم: "كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذون على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم"[64].

وفي قوله-تعالى -: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾(65)، يأتي سبحانه وتعالى بالفعل وضده، وهذا يسمى بالأضداد أي الفعل وضده، فالفعل الأول أمر من الله لعباده بالتعاون على البر والتقوى وقد سبق الإشارة إلى ذلك أما الفعل الثاني قد سبقته لا الناهية وعدم التعاون على الإثم والعدوان، ولعل في ذكر البر وبعده التقوى ما يفيد أن التقوى فيها رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، وفي نهاية الآية وجه سبحانه وتعالى إنذاراً لمن يتعاون على الإثم والعدوان والاعتداء على الغير بالعذاب الشديد، وفي وصف قرأني جميل يصف سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض فقال- سبحانه وتعالى- : ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(66)، الولاء بمعنى المحبة والاخفاء والنصرة، وهذا اللفظ يطلق على المؤمنين ولا يطلق على غيرهم من المنافقين، والتعبير القرآني بأنهم جاء أولياء لأن أواصر المحبة والمودة والرحمة قد جمعتهم وهذا لقمان يأمر أنبه بالصلاة ويقرنها بالأمر بالمعروف جاء في قوله تعالى- : ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾(67)، ويحمل القول فتقول: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين الذين يرجون الفلاح في الدنيا، والقبول الحسن في الآخرة.

المطلب الثاني ـ إرادة الشكر والثناء على نعم الله:

إن إرادة شكر الله عز وجل ومعرفة نعمه من أسمى الغايات التي خلق الإنسان لها، فنعم الله تبارك وتعالى أكبر من أن يحصيها العد، وإن حاول الإنسان ذلك وبكل ما أوتى من علم فلن يصل إلى غايته، وقد بين سبحانه وتعالى لعباده عجزهم، فعند خروجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون من أمر هذا الكون شيئاً فهو من تفضل بنعمة السمع والبصر والفؤاد كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾(68)، وهذه النعم تستوجب الشكر وذلك لما لها من غايات سامية، كالنظر والتفكر في آيات الله المرئية، والاستماع والتمعن والتدبر في آيات الله المسموعة.

ولكن لماذا لا يستطيع الإنسان عد وإحصاء نعم الله؟ ويتساوى في ذلك العالم وما دونه اعتقد إن الإجابة على هذا السؤال مرهونة بأمرين:

الأمر الأول أن نعم الله في حقيقتها نعم ظاهرة ونعم باطنه، أما الأولى فهي ما يحاول الباحثون حصرها، والنعم الباطنة وهي التي يصعب إدراكها.

فالنعم الظاهرة والتي يمكن للإنسان أن يصل إلى بعضها، تكمن في خلق الإنسان نفسه فالله خلقه في أحسن تقويم، كرمه على سائر مخلوقاته في السموات والأراضين، وجعل له لسانًا وشفتين وهداه النجدين قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[69]، وخلق له من نفسه زوجًا يسكن إليها، وهو الذي استخلفه الله في الكون لعمارته وهو الذي سخر له ما في السموات وما على الأرض من زروع وثمار وبحار وأنهار وجبال، هذا فيض من فيض، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[70]، والمعنى: إذا أرتم عد نعم الله وإحصاءها فلن تحصوها، ومن أراد أن يتعرف على أدق وأعظم النعم فليعمل عقله وليتدبر بداية خلقه والمراحل التي مر بها، قال - تعالى- : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**﴾[71]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[72]، ألا تدل مراحل لتكوين هذه على نعم الله؟ ألا يستحق سبحانه وتعالى الحمد والشكر والثناء عليها؟ نذكر وأنت في بطن أمك تقاسمها أكلها وشرابها وأنفاسها ونومها، وعند خروجك للوجود نعمة، وفي تسخير الوجود لك نعمة، ومع هذه النعم وغيرها فإن الله غفور رحيم لا يطلب أكثر مما يستطيعون ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[73]، فلا يطالبهم بالشكر والثناء إلا حسب طاقتهم ومعرفتهم، إن تلك النفوس التي لا تقدر الله حق قدره، فلا تشكره على جوده وكرمه وفضله ونعمه، ذهب بها الضلال والغرور والجهل إلى تفاهات من النكران والجحود، ومن المعروف عند أهل الصلاح أن شكر الله عز وجل هي من أقصى الغايات التي خلق الإنسان لأجلها، ولهذا يشكره الشاكرون ويثنى عليه المثنون، وهذا يذكرنا يقول الخالق - تبارك وتعالى- : ﴿**كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾[74]، وتصريف

القرآن هنا أن يذكر الامثال والأحوال، ونختم هذا المبحث بقولنا: إن حمد لله وشكرناه على ما تفضل به علينا من نعم زادنا من نعمه، وإن جحدنا ذلك فإن الله غني عن العالمين.

الخاتمة :

وقد توصلت إلى عدد من النتائج ومن بينها:

1- تحفيز الإرادة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم من المواضيع التي تستحق مزيد البحث والاطلاع.

2- هذا الموضوع يتمحور في العلاقة بين الله عز وجل وعباده.

3- بيان مسئوليات الإنسان نحو تلك النعم التي أنعم الله بها عليه.

4- التدبر والتفكر في ملكوت السموات والأرض هو الطريق الموصل إلى معرفة عظمة الله وقدرته.

5- الإرادة الإنسانية دائمًا ميالة إلى حب الدنيا وزخارفها.

التوصيات:

1- إن موضوع هذا البحث بحاجة ماسة إلى باحثين، فهو موضوع من المواضيع الحديثة العهد، الأمر الذي يجعلنا تدعو العلماء والباحثين للكتابة فيه.

2- أمتنا الإسلامية عانت في ماضيها وحاضرها من مشاكل جمه في جميع أمورها وسبب ذلك هي الإرادة الغير واعية والفاسدة.

3- تشجيع الباحثين وطلاب الدراسات العليا وأصحاب الرسائل العلمية على الكتابة في هذا الموضوع.

4- تزويد المكتبات العربية بكل جديد.

الهوامـــــــــــــش :

(1) سورة النحل ، الآية (18).
(2) سورة الأنعام: الآية (153).
(3) لسان العرب، لابن منظور، 191/3.
(4) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص257.
(5) سورة يوسف، الآية 23.
(6) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، 381/1.
(7) لسان العرب، 188/3.
(8) لسان العرب، لابن منظور، 187/3.
(9) المرجع السابق، 187/3.
(10) سورة القصص، الآية 83.
(11) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، 207.
(12) سورة البقرة، الآية 184.
(13) سورة الكهف، الآية 76.
(14) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 6/16.
(15) التعريفات، علي ابن محمد الجرجاني، ص26.
(16) التفسير الكبير، للرازي، 137/2.
(17) موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والحركات الإسلامية، عبدالمنعم الحنفي، ص82.
(18) موسوعة مصطلحات التصرف الإسلامي، رقيق العجم، ص45.
(19) سورة البقرة، الآية 26.
(20) سورة البقرة، الآية 233.
(21) سورة الزمر، الآية 38.
(22) سورة التوبة، الآية 46.
(23) سورة هود، الآية 34.
(24) سورة النساء، الآية 20.
(25) سورة النور، الآية 33.
(26) سورة النساء، الآية 62.
(27) سورة النحل، الآية 40.
(28) سورة المائدة، الآية 29.
(29) سورة الأحزاب، الآية 28.
(30) سورة القصص، الآية 19.
(31) سورة البقرة، الآية 108.
(32) سورة المائدة، الآية 113.
(33) سورة آل عمران، الآية 145.
(34) سورة يونس، الآية 107.

(35) سورة يس، الآية 23.
(36) سورة البقرة، الآية 185.
(37) سورة آل عمران، الآية 148.
(38) سورة الأحزاب، الآيتان 28-29.
(39) سورة الانعام، الآية 53.
(40) سورة الكهف، الآية 28.
(41) سورة هود، الآية 27.
(42) سورة الأنعام، الآية 153.
(43) رواه أحمد: مسند المكثرين – عبدالله بن مسعود رضى الله عنهم، حديث رقم: (4131).
(44) سورة النساء، الآية 143.
(45) سورة البقرة، الآية 200-202.
(46) رواه البخاري، كتاب الدعوات حديث رقم (5910).
(47) رواه البخاري، كتاب الدعوات (5910)، ومسلم: الذكر والدعاء (4855).
(48) سورة الشورى، الآية 20.
(49) سورة الإسراء، الآية 19-20.
(50) سورة النجم، الآية 29-30.
(51) سورة البقرة، الآية 3-5.
(52) سورة الانعام، الآية 31.
(53) سورة المؤمنون، 115-116.
(54) سورة البقرة، الآية 62.
(55) سورة التوبة، الآية 29.
(56) سورة المزمل، الآية 20.
(57) سورة فاطر، الآية 10.
(58) سورة التوبة، الآية 111-112.
(59) سورة الحديد، الآية 20.
(60) سورة الروم، الآية 27.
(61) سورة ص، الآية 28.
(62) سورة آل عمران، الآية 104.
63) رواه الديلمي، كنز العمال، ج3، (5564).
(64) رواه ابن ماجه: الفتن – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث رقم (3996).
(65) سورة المائدة، الآية 2.
(66) سورة التوبة، الآية 71.
(67) سورة لقمان، الآية 16.
(68) سورة النحل، الآية 78.
(69) سورة البلد، الآية 7-10.
(70) سورة النحل، الآية 18.

(71) سورة المؤمنون، الآية 12-14.
(72) سورة الإنسان، الآية 2-3.
(73) سورة البقرة، الآية 285.
(74) سورة الأعراف، الآية 58.